

إنّ تحصيل الغذاء والحرص على كسبه من المطالب الغريزية والأساسية في حياة الانسان، وهذا ما يبرر طلب بني إسرائيل من عيسى عليه السلام إنزال مائدة من السماء يأكلون منها وتكون لهم عيدا. قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَعَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنْكَ ۗ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۗ ﴾¹. فكان نزول تلك المائدة آية من آيات الله التي أيدت عيسى عليه السلام في دعوة قومه إلى الله تعالى. رأى محمد رشيد رضا (ت 1354هـ) أنّ طلب المائدة كان: "لأربع فوائد (إحداها): أنّنا نريد أن نأكل منها لأننا في حاجة إلى الطعام، ولا نجد ما يسد حاجتنا، وقيل: المراد أكل التبرك. (الثانية): نريد أن تطمئن قلوبنا بما نؤمن به من قدرة الله بمشاهدة خرقه للعادة، أي بضم علم المشاهدة واللمس والدوق والشم إلى علم السمع منك وعلم النظر والاستدلال"². ورأى محمد الطاهر ابن عاشور (ت 1393هـ) أنّهم: "ما أرادوا ذلك لضعف في إيمانهم إنّما أرادوا التيمّن بأكل طعام نزل من عند الله إكراماً لهم"³. فأبان التفسيران أهمية الطعام وعلاقته بالحاجة من ناحية وبالإيمان والشكر من ناحية ثانية، والطعام أساس حياة الإنسان بأعتبره من الحاجات الأكيدة، فكيف وظفه القرآن في البشارة والتذارة؟

2. الطعام من وسائل البشارة والإنذار في القرآن الكريم :

باعتبار الطعام نعمة يستطيعها الإنسان، ويركن إليها وقت الحاجة، استعمله القرآن للبشارة بالطيب من الطعام والشراب في جنات الخلد ترغيبا في الإيمان والعلم والعبادة والإحسان وصالح الأعمال. قال تعالى في معرض حديثه عن طعام أهل الجنة: ﴿ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾⁴. وتفنّن القرآن في عرض ما في الجنة من طيب الطعام والشراب في مستوى فرادة النوع وفي مستوى وصوله إلى المنعمين بلا جهد فقال: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ۗ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۗ وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾⁵. فمياه أنهار الجنة صافية لا يتغيّر ريحها، قال الطبري (ت 310هـ): "بلغني أنه لا تمسه يد، وأنه يجيء الماء هكذا حتى يدخل فيه"⁶. وقد قال

(1) سورة المائدة 5، الآيات: 112-114.

(2) رضا (محمد رشيد): تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار، الهيئة المصرية العلمية للكتاب، 1990م، ج 7، ص 211.

(3) ابن عاشور (محمد الطاهر): التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج 7، ص 107.

(4) سورة الواقعة 56، الآية: 20-21.

(5) سورة محمد 47، الآية: 15.

(6) الطبري (محمد): جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م، ج 22، ص 167.

الطبري في صفات خمر الجنة ولدته: "لم تدسه المجوس، ولم ينفخ فيه الشيطان، ولم تؤذها شمس، ولكنها فوحاء" أي: الصفراء⁷.

كما أعتمد الإنذار بالطعام المقزز الذي تأباه النفوس وتشمئز من تناوله، للترهيب من الكفر والإفساد في الأرض. قال تعالى في إطار حديثه عن عذاب أهل النار وطعامهم فيها: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾⁸. والغسلين: ما يسيل من صديد أهل النار. وقال أيضا: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ طَعَامٌ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾⁹. فكانت البشارة والإنذار من وسائل الإصلاح المنشود والترغيب في الإيمان والاستقامة على نهج الإسلام وتوصياته.

ونظرا لمدى الحاجة إلى الغذاء وقيمه في حياة الأفراد والشعوب، قامت الحروب ونشأت الخلافات. واليوم تُعقد الندوات وتُعدّ البرامج لأجل تحصيله وأملاكه، خاصة في عالمنا المعاصر الذي صار يتحدث عن "سلاح الغذاء". فكيف نظر القرآن الكريم للطعام في إطار منظومته الإصلاحية التي جاء بها إلى البشرية؟ وكيف سخره لخدمتها وتعزيز قيم التضامن والتعاون الإنساني، في مقابل رؤية العولمة¹⁰ وأستعمالها لهذا "السلاح" للتحكم في البشر بوضع اليد على البذور والأسمدة والمنتجات الزراعية والغذائية، إضافة إلى قلة وعي بعض الشعوب بقيمة الغذاء حيث أشار حسام عايش في مقال له إلى أن "25% من الغذاء يُهدر سنويا لضعف كفاءة الحصاد، وقلة مرافق التخزين"¹¹. وأشار من جهة أخرى إلى: "سيطرة شركات على سوق البذور العالمية كشركة مونسانتو التي تملك 70-100% من أسواق بذور مختلف المحاصيل في العالم ما يؤدي إلى اختفاء استخدام البذور الأصلية، والتحكم بالتنوع البيولوجي الزراعي"¹². ثم أشار إلى أنّ ظاهرة أستعمال: "سلاح الغذاء كأداة عقاب بالمنع والتضييق والمقاطعة في أزياد، للتأثير المباشر في معيشة الناس أستنادا لحقيقة حاجتهم الماسة له على مدار الساعة"¹³. هذا بعض ما أفرزه النظام العالمي الجديد فكان تحكّمه في الغذاء مُنبئا بالخطر مؤديا إلى التجويع والفساد. ولتلافي جميع ذلك أهتم الإسلام بتنظيم الاستهلاك، فما هي ضوابطه الشرعية؟

(7) م س، ج 22، ص 167.

(8) سورة الحاقة 69، الآيات: 36 - 37.

(9) سورة الدخان 44، الآيات: 43 - 45.

(10) أمين (جلال): العولمة، دار الشروق، القاهرة- مصر، ط 1، 1999م، ص 17. هي: ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم، سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات، أو في انتقال رؤوس الأموال، أو في انتشار المعلومات والأفكار، أو في تأثر أمة بقيم وعادات غيرها من الأمم.

(11) عايش (حسام) مقال ب: لوسيل نيوز موقع إخباري قطري، 18 يوليو 2017.

(12) م س.

(13) م س.

3. في الحاجة إلى إدارة الشأن الغذائي :

أبان القرآن الكريم أهمية إدارة الشأن الغذائي، ووضّح سبل تحقيق الأمن في هذا المجال، بأعباره طريقاً إلى الإصلاح المنشود. يتجلى ذلك بوضوح في قوله تعالى: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۗ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾¹⁴. ومن النتائج التي توصل إليها الزمخشري (ت538هـ) في تفسير هذه الآية: "إنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله تعالى وإقامة الحقّ وبسط العدل، والتّمكّن مما لأجله تبعث الأنبياء إلى العباد، ولعلمه أنّ أحداً غيره لا يقوم مقامه في ذلك، فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحبّ الملك والدنيا"¹⁵. فكانت هاتان الخصلتان في يوسف عليه السلام مطلوبتين في كلّ مؤتمن على الغذاء في كلّ زمان ومكان. فإذا توفّرتا كانتا الداليتين على أهليته لهذه المهمة الصعبة وقدرته على القيام بها على أحسن وجه. وأشار ابن عاشور إلى أهمية الصّفتين المذكورتين فقال: "صِفَةُ الْحِفْظِ الْمُحَقَّقِ لِلْإِتْمَانِ، وَصِفَةُ الْعِلْمِ الْمُحَقَّقِ لِلْمَكَانَةِ"¹⁶. فهما من الرّكائز الأساسية المساهمة في تحقيق الأمن الغذائي المطلوب وإدارة الشأن الغذائي في مستوى الدّول وحتى الأسر. وإذا كنّا نشد تحقيق هذا الهدف في البلاد الإسلامية اليوم فلا بدّ من تولية الأمين الحفيظ على الغذاء وعلى خيرات الأرض ومواردها عموماً، العليم القادر على تنميتها وتكثيرها وجمعها وخبزها بالطرق العلمية وتوزيعها وفق الضوابط الشرعيّة، حتى تكون الأمة في مأمن من الخصاصة والاحتياج وحتى لا يُمارس عليها أو على بعض مكوّناتها أسلوب الابتزاز والمساومة. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَانَ مِمَّا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا)¹⁷.

ومن أبرز المحطات التي ربطت الغذاء بالابتلاء ما كان مع آدم قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾¹⁸ حيث وسوس له الشيطان، وزين له فضل الأكل منها، ففعل، ووقع في الخطيئة. قال الرازي: "فَالْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ إِطْلَاقُ الْأَكْلِ مِنَ الْجَنَّةِ عَلَى وَجْهِ التَّوَسُّعِ الْبَالِغَةِ حَيْثُ لَمْ يَحْظُرْ عَلَيْهِمَا بَعْضُ الْأَكْلِ وَلَا بَعْضُ الْمَوَاضِعِ حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُمَا عُذْرٌ فِي التَّنَاقُلِ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ بَيْنِ أَشْجَارِهَا الْكَثِيرَةِ"¹⁹. وقال الزحيلي (ت1436هـ): "نهاهما عن الأكل من شجرة معينة، فالأكل منها ظلم لأنفسهما، ولكن الشيطان عدوّهما أرلّهما عنها، فأخرجهما من ذلك النعيم، بعد أن أغواهما

⁽¹⁴⁾ سورة يوسف 12، الآية: 55.

⁽¹⁵⁾ الزمخشري (محمود): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط3، 1427هـ، ج2، ص482.

⁽¹⁶⁾ ابن عاشور (محمد الطاهر): التحرير والتنوير، ج13، ص9.

⁽¹⁷⁾ البخاري (محمد): الأدب المفرد، تر: صالح أحمد الشامي، دار القلم، دمشق، ط1، 1422هـ - 2001م، حديث رقم 300، ص322.

⁽¹⁸⁾ سورة البقرة 2، الآية: 35.

⁽¹⁹⁾ الرازي (محمد): مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ج3، ص452.

بالأكل من الشجرة، أو أبعدهما وحولهما من الجنة"²⁰. من هنا تظهر خطورة الطعام بأعتبره من وسائل الابتلاء والاختبار، كما تبدو أهمية الانضباط للأحكام الشرعية التي أباحت الطيبات وحرمت الخبائث. وفي الإباحة والتحریم حکمة ربّانية بالغة، فالله تعالى لا يحبّ لعباده إلا الخير. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (168) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾²¹. فما المراد بالطيب وما المراد بالخبث؟ قال محمد رشيد رضا "الحلال: هو غير الحرام الذي نصّ عليه في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾²². فما عدا هذا فكله مباح بشرط أن يكون طيبًا و أي غير خبيث"²³. وقال ابن عاشور: "الطيب من شأنه أن تقصده النفوس للانتفاع به فإذا ثبت الطيب ثبت الحلية لأن الله رفيق بعباده لم يمنعهم مما فيه نفعهم الخالص أو الراجح"²⁴. ولا شك أن في أمتياز الطيب المباح من الطعام بالنفع والطهارة مع كثرة أنواعه وأصنافه وفي أتصاف الخبيث المحرم على قلة ومحدوديته بالمضرة أو النجاسة بيان للرحمة الإلهية

وقيل الطيب هو ما لا يتعلّق به حقّ الغير. وعموماً فإنّ الدّعوة إلى تناول الطيب من الطعام وترك الخبيث إسهام في تكريم الانسان وترقية ذوقه وحفظ صحته وتقوية جسمه وعزيمته وتركية نفسه، حتى يقدر على القيام بمهمة خلافة الله في الأرض. ولكن من هو المخول بالتشريع في هذا الباب؟

لا شك أن إباحة الطعام أو تحريمه عمل تشريعي خالص لا يصدر إلا عن المولى عزّ وجلّ وعن الرسول ﷺ، ولا حديث فيه إلا للعلماء وفق القواعد الفقهيّة التي راعت الضرورة القصوى مثل قاعدة "الضرورات تبيح المحظورات" وبذلك فليس من حقّ أيّ إنسان آخر أن يبيح أو أن يحرم طعاما أو شرابا وفق مزاجه وتصوّره الخاص، وهذا ما وقع فيه المشركون الذين حرّموا على أنفسهم بعض الطيبات وأحلّوا الخبائث، فنهاهم المولى سبحانه عن هذا الصنيع حيث قال في خطابه للمؤمنين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِبْرَاهِيمَ تَعْبُدُونَ (172) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾²⁵. وإذا كانت بعض الأمم قد حرّمت على نفسها كثيرا من الطيبات كبعض أنواع

(20) الرّحيلي (وهبة): التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ، ج1، ص138.

(21) سورة البقرة 2، الآيات: 168 - 169.

(22) سورة الأنعام 6، الآية: 145.

(23) رضا (محمد رشيد): تفسير القرآن الحكيم المسمّى تفسير المنار، ج2، ص71.

(24) ابن عاشور (محمد الطاهر): التحرير والتنوير، ج2، ص102.

(25) سورة البقرة 2، الآيات: 172 - 173.

لحوم بعض الحيوانات أو غيرها بدعوى تعذيب الجسد واحتقاره، وربما كان ذلك تقليدا لآبائهم من المشركين عبدة الأصنام، فإن المولى سبحانه بين الطيب من الطعام وأباحه والهدف من ذلك في نظر محمد رشيد رضا أن: "تَسْعَ دَائِرَةٌ نِعْمَهُ الْجَسَدِيَّةِ عَلَيْنَا، وَأَمَرْنَا بِالشُّكْرِ عَلَيْهَا لِيَكُونَ لَنَا مِنْهَا فَوَائِدُ رُوحَانِيَّةٌ عَقْلِيَّةٌ" ²⁶. ولا شك أن في ذلك دفعا لتحقيق الإصلاح الاجتماعي المنشود من خلال تعزيز ثقة المسلم بربه وبكتابه وما جاء فيه من أحكام بُنيت على حكمة ربانية بالغة ورحمة ظاهرة حرمت من الطعام ما فيه نجاسة أو مضرّة أو اعتداء على حق الغير.

وها هو القرآن يُحاور المؤمنين وغيرهم، ويُجيب عن أسئلتهم التي تعلقت بالطعام والشراب وغيرها مبينا المصالح والمفاسد كقاعدة أنبت عليها الأحكام الشرعية. قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ ²⁷. كان ذلك في مرحلة تمهيدية لتحريم المسكر بعد ذلك بصفة قطعية ونهائية بأعباره نجسا ولما يترتب عن شربه من زوال العقل ومضار جسدية وعقلية وعصبية ومزاجية وسلوكية تُخلّ بالمرءة ويانسانية الإنسان الذي كرمه الله. يقول محمد رشيد رضا: "وَإِنَّمَا كَانَ إِثْمُ الْخَمْرِ كَبِيرًا لِأَنَّ مَضَرَّاتِهَا وَالتَّوْبِعَاتِ الَّتِي تَعْقُبُهَا كَبِيرَةٌ، وَالضَّرَرُ يَكُونُ فِي الْبَدَنِ وَالتَّنَفُّسِ وَالعَقْلِ وَالمَالِ، وَيَكُونُ فِي التَّعَامُلِ وَارتِبَاتِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَلَا يُوْجَدُ إِثْمٌ مِنَ الْأَثَامِ كَالْخَمْرِ يَدْخُلُ ضَرَرُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَفْعَالِ وَمِنَ الْأَقْوَالِ" ²⁸. وها هو القرآن الكريم يعدد المحرمات من الطعام قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالمُنْخَنِقَةُ وَالمَوْفُوذَةُ وَالمُتَرَدِّيَةُ وَالتَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۗ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ ²⁹.

فما المراد بالميتة ³⁰؟ وما الحكمة من تحريمها وغيرها مما ذكر في الآية الكريمة؟ وكيف نظم القرآن مسألة الاستهلاك؟ وما علاقة ذلك بحفظ النعمة؟

⁽²⁶⁾ رضا (محمد رشيد): تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار، ج 2، ص 79.

⁽²⁷⁾ م س، ج 2، ص 259.

⁽²⁸⁾ سورة البقرة 2، الآية: 219.

⁽²⁹⁾ سورة المائدة 5، الآية: 3.

⁽³⁰⁾ رضا (محمد رشيد): تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار، انظر ج 6، ص 111 - 116 "يقول رشيد رضا: " الْمُرَادُ مِنَ الْمَيْتَةِ فِي عُرْفِ الشَّرْحِ: مَا مَاتَ وَلَمْ يَذْكُهِ الْإِنْسَانُ لِأَجْلِ أَكْلِهِ تَذْكِيَةً جَائِزَةً... وَلِأَنَّهُ مِمَّا تَعَاثَرَهُ الطَّبَاغُ السَّلِيمَةُ وَتَسْتَقْدَرُهُ، وَتَعُدُّهُ خُبْنًا، وَالمَشْهُورُ عِنْدَ عُلَمَائِنَا أَنَّ سَبَبَ ضَرَرِ الْمَيْتَةِ احْتِبَاسُ الرُّطُوبَاتِ فِيهَا وَالدَّمِ الْمَسْفُوحِ أَيِ الْمَائِعِ الَّذِي يُسْفَعُ وَيُرَاقُ مِنَ الْحَيَوَانِ. وَإِنْ جُمِدَ بَعْدَ ذَلِكَ، بِخِلَافِ الْمُتَجَمِّدِ فِي الطَّبِيعَةِ كَالطَّحَالِ وَالكَبِدِ، وَمَا يَدْخُلُ اللَّحْمَ عَادَةً فَإِنَّهُ لَا يُعَدُّ مَسْفُوحًا... وَأَمَّا كَوْنُهُ ضَارًّا؛ فَلِأَنَّهُ عَسِرُ الْهَضْمِ جَدًّا وَيَحْمِلُ كَثِيرًا مِنَ الْمَوَادِّ الْعَفِنَةِ الْمَيْتَةِ الَّتِي تَنْحَلُّ مِنَ الْجَسْمِ، وَهِيَ فَضَلَاتٌ لَقَطْنَهَا الطَّبِيعَةُ كَمَا تَلْفِظُ الْبُرَازَ... وَحِكْمَةُ تَحْرِيمِهِ مَا فِيهِ مِنَ الضَّرَرِ، وَكَوْنُهُ مِمَّا يُسْتَقْدَرُ. وَمَا أُهْلِيَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ مَا ذُبِحَ بِاسْمِ اللَّاتِ أَوْ بِاسْمِ الْغُرَى، وَحِكْمَةُ تَحْرِيمِ أَكْلِهِ هَذَا أَنَّهُ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلِأَنَّ كَلَّ مِنْهُ مُشَارَكَةٌ لِأَهْلِهِ فِيهِ وَمُشَايَعَةٌ لَهُمْ عَلَيْهِ، وَهُوَ مِمَّا يَجِبُ إِتْكَارُهُ لَا إِقْرَارُهُ" وَ الْمُنْخَنِقَةُ " الَّتِي تَحْتَبِقُ فَتَمُوتُ وَالمَوْفُوذَةُ هِيَ الَّتِي تُقْتَلُ بَعْضًا أَوْ بِحِجَارَةٍ لَا حَدَّ لَهَا، فَتَمُوتُ بِلا ذَكَاءٍ. وَالتَّطِيحَةُ: هِيَ الَّتِي

4. الطعام وأخلاق الاستهلاك وضوابطه:

يرتبط أستهلاك الطعام بالحاجة إليه، من ناحية، وبمدى تزكية نفس المسلم، من ناحية ثانية، حتى يتعامل برشد ووعي مع مسألة الغذاء عموماً. فالمطلوب منه أن يتجنب الطمع والجشع والشح والاستثثار بالطعام وبخيرات الأرض، وأن يترفع عن كلّ السفاسف، وعليه أن يتجاوب مع دعوة القرآن إلى التخلص بالإيثار، فقد قال تعالى: ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۗ وَمَن يُوقِ شَحْنَنَفسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾³¹. وجعلت الشريعة الإسلامية الإطعام من علامات الإسلام، فقد ورد في الحديث: "حدثنا عمرو بن خالد، قال: حدثنا الليث، عن يزيد، عن أبي الخير، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رجلاً سأل النبي ﷺ الإسلام خير؟ قال "تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف"³². بل وجعلته من أجلّ القربات إلى المولى عز وجلّ الذي قال: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۚ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾³³. فكان إطعام الطعام في التصوّر الإسلامي سبيلاً إلى تأليف القلوب على الإسلام وباباً من أبواب التضامن الإنساني. فالجميع يعمل للحدّ من الفقر والخصاصة وخدمة الإنسان وتكريمه وصون كرامته وتوفير الأمن الغذائي المطلوب الذي لا يقلّ أهميّة عن الأمن النفسي والأمن الاجتماعي والأمن على الدماء والأنفس والأموال. وما أحوجنا اليوم إلى إعادة إحياء هذه الوصايا والتوجيهات القرآنية والنبوية ونحن نتحسّس طريق الإصلاح الاجتماعي المأمول في بيئة غلب عليها التكالب على المادّة والانزواء وحبّ الذات وعدم التفكير في مصلحة الآخرين من أبناء الأُمَّة!

ولكن كيف وظّف المُخالفون للإسلام من المشركين والكفّار وغيرهم الطّعام وجعلوا منه سلاحاً للتّحكم في رقاب الناس وأقواتهم؟ أخبر القرآن الكريم أنّ من صفات الكافر المُكذّب بالدين أنّه لا يُطعم المحتاج المسكين، ولا يحضّ على إطعامه لتغلغل النزعة الفرديّة والأنانيّة فيه. قال تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدينِ فذلك الَّذِي يَدْعُ اليَتِيمَ وَلَا يَحْضُ على طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾³⁴. قال ابن عطية (ت 542هـ) "دعّ اليتيم: دفعه بعنف، وذلك إمّا أن يكون

تَنْطَحُّهَا أُخْرَى فَمُوتٌ مِنَ النَّطَاحِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لِلْإِنْسَانِ عَمَلٌ فِي إِمَاتِيهَا وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ أَي: مَا قَتَلَهُ بَعْضُ سَبَاعِ الْوُحُوشِ كَالْأَسَدِ وَالذَّبِّ إِلَّا مَا دَكَّيْتُمْ هُوَ اسْتِنَاءٌ مِنْ جَمِيعِ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي يَتَوَقَّفُ حُلُّهَا عَلَى تَذَكِّيَةِ الْإِنْسَانِ لَهَا، أَي إِمَاتِيهَا إِمَاتَةٌ شَرْعِيَّةٌ لِأَجْلِ أَكْلِهَا لِيَكُونَ الْمَكْلَفُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنَ التَّشْرِيعِ فَيَقْبَلُ عَلَى أَكْلِ الْمَبَاحِ وَيَتْرَكَ الْمَحْرَمَ مِنْهُ .

(31) سورة الحشر 59، الآية: 9.

(32) البخاري (محمد): صحيح البخاري، دار العهد الجديد، المنصورة، مصر، ط 1، 1423 هـ - 2002 م، كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من

الإسلام، حديث رقم 12، ص 12.

(33) سورة الانسان 76، الآيتان: 8 - 9.

(34) سورة الماعون 107، الآيات: 1 - 3.

المعنى عن إطعامه والإحسان إليه، وإما أن يكون عن حقه وماله، فهذا أشد... وقوله تعالى: وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ أَي لَا يَأْمُرُ بِصَدَقَةٍ وَلَا يَرَى ذَلِكَ صَوَابًا³⁵. فإن قيل ها نحن اليوم نرى الغرب العلمانيّ يقدم الغذاء والدواء والسكن للمشردّين ويمارس التضامن الانسانيّ في أجلى صورته فإنه يُردّد على هذا القول بأنّ الواقع يؤكّد أنّ هذا العمل لا ينبثق عن عقيدة ولا ينم عن وازع ديني وإنّما هو من " الواجب " ومن جهود المجتمع المدنيّ الذي آمن بضرورة خدمة الإنسان وصون كرامته وحفظ حياته من المخاطر³⁶.

ومن ضوابط التعامل الواعي والشّرعي مع الطّعام عدم الغشّ فيه. ورد في الحديث: " حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، وَابْنُ حُجْرٍ، جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَلْعَلَاءُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: (مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَمَا يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي)³⁷. أضف إلى ذلك التوسط في النفقة حيث قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾³⁸، وترك الإسراف والتبذير حفظاً للنعمة ولحق الأجيال القادمة منها. قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾³⁹. وقال أيضاً: ﴿ وَلَا تُبَدِّرْ تَبْدِيرًا ۚ إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾⁴⁰. فالأمة الإسلامية هي أمة الوسطية والاعتدال المطلوب حتى في إنفاق المال يقول ابن عاشور: " فالإنفاقُ والبذلُ حقيقةٌ أحدُ طرفيها الشُّحُّ وهو مفسدةٌ للمحايِجِ ولصاحبِ المالِ، إذ يجرُّ إليه

³⁵ ابن عطية (عبد الحق): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تح: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1422، ج 5، ص 527.

³⁶ روسو (جون جاك) العقد الاجتماعي، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة - مصر، 2012، الفصل الثامن، الحال المدنية، ص 43: أدى الانتقال من الحال الطبيعية إلى الحال المدنية إلى تغيير في الإنسان جدير بالذكر كثيراً، وذلك بإحلاله العدل محلّ الغريزة في سيره، وبمنحه أدبا كان يُعوزها سابقاً... فالذي يخسره الإنسان بالعقد الاجتماعي هو حرّيته الطبيعية وحق مطلق في كلّ ما يُحاول وما يُمكن أن يحصل، والذي يكسبه هو الحرّية المدنية وتملّك ما يجوز وما يجب... وعلى ما تقدّم يمكن أن تُضاف إلى الحال المدنية الحرّية الأدبية التي تجعل وحدها الإنسان سيّد نفسه بالحقيقة، وذلك لأنّ صولة الشهوة وحدها هي العبودية ولأنّ إطاعة القانون الذي تُلزم به أنفسنا هي الحرّية.

³⁷ مسلم (ابن الحجاج): صحيح مسلم، تح: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د ت، كتاب الايمان، باب قول النبي ﷺ عليه وآله وسلم: غش فليس منا، حديث رقم 102، 1، ص 99.

³⁸ سورة الإسراء، الآية: 29.

³⁹ سورة الأعراف، الآية: 31.

⁴⁰ سورة الإسراء، الآية: 26 - 27.

كِرَاهِيَةَ النَّاسِ إِيَّاهُ وَكِرَاهَتِيهِ إِيَّاهُمْ. وَالطَّرْفُ الْآخَرَ التَّبَذِيرُ وَالْإِسْرَافُ، وَفِيهِ مَفَاسِدُ لَدِي الْمَالِ وَعَشِيرَتِهِ لِأَنَّهُ يَصْرِفُ مَالَهُ عَنْ مُسْتَحِقِّهِ إِلَى مَصَارِفَ غَيْرِ جَدِيرَةٍ بِالصَّرْفِ، وَالْوَسْطُ هُوَ وَضْعُ الْمَالِ فِي مَوَاضِعِهِ⁴¹. وَإِذَا كُنَّا قَدْ بَيَّنَّا أَهْمِيَّةَ الْإِعْتِدَالِ فِي التَّفَقُّةِ فِي حَسَنِ إِدَارَةِ الْغِذَاءِ فَمَا عِلَاقَةُ الصَّوْمِ بِفِلْسَفَةِ الْغِذَاءِ وَالطَّعَامِ فِي الْإِسْلَامِ؟

5. عِلَاقَةُ الصَّوْمِ بِفِلْسَفَةِ الْغِذَاءِ فِي الْإِسْلَامِ :

فَرَضَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ صَوْمَ رَمَضَانَ فَقَالَ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾⁴². وَالصَّوْمُ، عِلَاوَةٌ عَنْ كَوْنِهِ رَكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَعِبَادَةٌ مِنْ عِبَادَاتِهِ، فَهُوَ مِنْ أَنْجَعِ الْوَسَائِلِ الَّتِي تُعَرِّفُ بِأَهْمِيَّةِ الطَّعَامِ وَقِيَمَتِهِ. فَالصَّوْمُ عِبَادَةٌ تَهْدِبُ النَّفْسَ وَالسَّلُوكَ وَتُدْفِعُ إِلَى الْإِدْخَارِ. وَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ وَلَا مِنَ الْمَقْبُولِ الْإِكْتِنَارُ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي شَهْرِ الصِّيَامِ، حَتَّى يَتَحَوَّلَ إِلَى شَهْرِ التَّرْفِ وَالتَّبَذِيرِ، وَالْحَرَصُ عَلَى تَلْبِيَةِ شَهْوَاتِ الصَّائِمِ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ فَتَحْصُلُ نَتَائِجُ مَخَالَفَةٍ لِمَا أُرِيدُ مِنَ الصَّوْمِ فِي هَذَا الشَّهْرِ، وَتَزْدَادُ النَّفُوسُ ضَعْفًا وَتَكْثُرُ النَّزَوَاتُ وَالْمَطَالِبُ الْمَادِيَّةُ. فَمَا أَحْوَجُنَا إِلَى تَرْشِيدِ الْإِسْتِهْلَاكِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ. وَقَدْ دَابَّ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى عَدَمِ الْمَبَالَاةِ بِالْقَاءِ الْخَبْزِ وَكَثِيرٌ مِنْ فَضْلِ الطَّعَامِ فِي سَلَّةِ الْمَهْمَلَاتِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَجُوعُ فِيهِ آخَرُونَ! مَا أَحْوَجُنَا إِلَى تَوْعِيَةٍ تُوَكِّدُ أَنَّ مِنْ حِكْمِ الصِّيَامِ حِفْظَ الطَّعَامِ وَصُونَهُ مِنَ التَّبَذِيرِ وَسُوءِ التَّصْرِيفِ، وَالْحَرَصُ عَلَى تَوْفِيرِهِ وَتَنْمِيَّتِهِ وَحَسَنِ خَزْنِهِ وَتَوْزِيْعِهِ! أَفَلَا بَقَاءٌ وَلَا قُوَّةٌ لِأُمَّةٍ لَا تَحَافِظُ عَلَى مَوَارِدِهَا الْغِذَائِيَّةِ وَمَدْخِرَاتِهَا مِنَ الطَّعَامِ.

وَلَا يَخْفَى مَا بَيْنَ الصِّيَامِ وَالْإِطْعَامِ مِنْ عِلَاقَةٍ وَثِيْقَةٍ فَكِلَاهُمَا عِبَادَةٌ وَقَرِيبَى مِنَ الْمَوْلَى سَبْحَانَهُ الَّذِي رَتَّبَ عَلَيْهَا جَزِيلَ الثَّوَابِ. عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسَ نِيَامًا)⁴³. وَكِلَاهُمَا كَفَّارَةٌ لِبَعْضِ الذَّنُوبِ وَالْمَخَالَفَاتِ وَخَيْرٌ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ وَفِي مَقَدِّمَتِهِمُ الْفُقَهَاءُ الْمَالِكِيَّةُ الْإِطْعَامَ عَلَى الصَّوْمِ فِي كَفَّارَةِ الْمَفْطَرِ فِي رَمَضَانَ عَمْدًا لِمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ الْإِطْعَامُ مِنْ فَوَائِدِ إِنْسَانِيَّةٍ وَأَجْتِمَاعِيَّةٍ كَثِيرَةٍ. وَإِذَا كَانَ الطَّعَامُ نِعْمَةً رَبَّانِيَّةً فَقَدْ وَجِبَ تَقْيِيدُهَا بِالشُّكْرِ. وَأَبْرَزُ مَظَاهِرِ ذَلِكَ حِفْظُهَا مِنَ الْإِسْرَافِ وَالتَّبَذِيرِ.

6. عِلَاقَةُ الرِّخَاءِ الْغِذَائِيِّ وَالْمَجَاعَةِ بِالسُّنَنِ الْكُونِيَّةِ:

(41) ابن عاشور (محمد الطاهر): التحرير والتنوير، ج 15، ص 84

(42) سورة البقرة 2، الآية: 183

(43) ابن حبان (محمد): صحيح ابن حبان المسند الصحيح على التقاسيم و الأنواع، تح: محمد علي شونمز وخالص آيدمير، دار ابن حزم، بيروت -

لبنان، ط 1، 1433 هـ - 2012 م، حديث رقم 741، م 1، ص 497

لقد بين الله سبحانه بقدرته وحكمته جملة من السنن والقوانين الكونية التي لا تتغير ولا تبدل. قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۗ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۗ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾⁴⁴. ما المقصود بالسنة؟ " سنّ الله سنة أي بين طريقا قويمًا"⁴⁵. والسنة: العادة يتسنّى أن يسيرَ هذا الخبرَ مسيرَ الأمثال⁴⁶. ومن سننه سبحانه في الكون معاقبة الظالم المعتدي قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾⁴⁷. ومنها، أيضا، نصرة المؤمن المطيع المنضبط لشرعه وأحكامه قال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾⁴⁸. ورزق المرء مقدر من الله سبحانه فقد جاء في الحديث " حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ أَكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيَّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ)⁴⁹. رغم ذلك التقدير الإلهي فإن من سنن الكون أن يكون إحلال البركة في هذا الرزق وجعله نعمة للعبد يرتبط بإيمانه وإحسانه وإصلاحه في الأرض. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾⁵⁰. ومن سننه في الكون أيضا، أن المجاعة ونقص الطعام عقاب وتأديب للكفار والمفسدين. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾⁵¹. وأستعرض القرآن جملة من المواقف التي تُبرز تراجع بعض الأمم عن الإيمان والإحسان فيقلب الله نعمته عليهم نقمة وأمنهم خوفا، وابتليهم بنقص الثمرات و بألوان كثيرة من العذاب. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۗ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا

⁽⁴⁴⁾سورة فاطر 35 ، الآية : 43

⁽⁴⁵⁾ابن منظور (محمد) لسان العرب، دار صادر، بيروت - لبنان، م 13، ص 225

⁽⁴⁶⁾ابن عاشور (محمد الطاهر): التحرير والتنوير، ج 22، ص 337

⁽⁴⁷⁾سورة الأنفال 8، الآية: 53

⁽⁴⁸⁾سورة الروم 30، الآية: 47.

⁽⁴⁹⁾البخاري (محمد): صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث رقم 3208، ص 596.

⁽⁵⁰⁾سورة الأعراف 7، الآية: 96.

⁽⁵¹⁾سورة الأعراف 7، الآية: 130.

يَظْلَمُونَ⁵². ومن أبرز الأمثلة على وقوع هذه السنّة الكونيّة ما وقع لأهل سبأ الذين لم يشكروا النعمة ولم يقدرُوا خالقها حقّ قدره، فأخذهم بالعذاب والجوع ونقص الثمرات. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ فَاعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ۖ﴾⁵³. وإذا قال البعض: "ها هو الغرب المخالف للإسلام ينعم بخيرات الأرض وبركات السماء فأين هم من السنن الكونيّة ومن ألوان العذاب"؟ فإن الجواب المذكور في القرآن. وتاريخ البشريّة يؤكّد تقلّب الكفّار في النعم إلى أن يأخذهم الله بالابتلاءات والعذاب والنقم على حين غرّة، وأنّ العبرة بالخواتيم. قال تعالى: ﴿وَذُرِّي وَالْمُكْذِبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمُ قَلِيلًا ۖ﴾⁵⁴. وقال أيضا: ﴿لَا يَغْرَنُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمَ ۗ وَبئسَ الْمِهَادُ ۖ﴾⁵⁵. وإذا كنا نروم تحقيق الإصلاح الاجتماعي فإنه يتحتّم علينا الوعي بالسنن الكونيّة وبقيمة الغذاء وضرورة توظيفه في تكريم الإنسان لا في أستعباده والتحكّم في مصيره.

خاتمة :

إنّ عناية القرآن بالغذاء كسبا وادخارا وتوزيعا واستهلاكا عبر أحكام تنظيميّة وإرشاديّة ومواقف إعجازيّة في علاقة بالسنن الكونيّة لدليل قاطع على أهميّة هذا المكسب الذي يُعتبر نعمة من أجلّ النعم. وإذا كانت الأُمَّة تبحث عن سبل التقدّم والنصر والعزّ والتمكين وتُعبّد طريقها عبر الإصلاح فلا بدّ أن تكون على وعي بقيمة الغذاء وبأخطار التبذير وأن تعمل على ترشيد الاستهلاك والتّفقّة لأنّ التبعيّة الغذائيّة عادة ما تكون سببا في بعض التنازلات المصيريّة والمبدئيّة. وهذا ما يستدعي مزيد الاهتمام بهذا الموضوع في البرامج التعليميّة للناشئة، حتّى يدركوا قيمة العمل وضرورة الإنتاج وأهميّة ادخار الطّعام وحسن التّصرّف فيه. كما يتطلّب استغلال كلّ الفضاءات الترفيهيّة والثقافيّة لبيان خطورة التبذير وسوء التّصرف في النعمة عبر الشعر والنثر والرسم وغيرها من أشكال التعبير وتعتبر التوعية الإعلاميّة عبر القنوات المرئيّة والمسموعة وفي واجهة المحلّات التجاريّة وداخل فضاءاتها من أفضل الوسائل الكفيلة بذلك.

فهل من خطط وتصوّرات أخرى تضمن ترشيد الاستهلاك والوعي بضرورة تحقيق الاكتفاء الذاتي في

⁽⁵²⁾ سورة الأعراف، 7، الآيات: 161-162.

⁽⁵³⁾ سورة سبأ، 34، الآيات: 15-16.

⁽⁵⁴⁾ سورة المزمل، 73، الآية: 11.

⁽⁵⁵⁾ سورة آل عمران، 3، الآيات: 196-197.

الغذاء بما يساهم في تطوير وعي الأمة ويحفظ عزّها ومناعتها؟

قائمة المراجع والمصادر

* القرآن الكريم برواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي.

أمين (جلال)

* العولمة، دار الشروق، القاهرة - مصر، ط 1، 1999م.

البخاري (محمد) 194هـ - 256هـ

* صحيح البخاري، ضبط أحمد جاد، دار العهد الجديد المنصورة - مصر، ط 1، 1423هـ - 2002م. * الأدب المفرد،

ترتيب صالح أحمد الشامي، دار القلم، دمشق، ط 1، 1422هـ - 2001م.

ابن حبان (محمد) 270هـ - 354هـ

* صحيح ابن حبان: المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع، تحقيق محمد علي شونمز وخالص آي دمير، دار ابن حزم،

بيروت - لبنان، ط 1، 1433هـ - 2012م

الرازي (محمد) ت 606هـ

* مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1420هـ.

روسو (جون جاك)

* العقد الاجتماعي، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة - مصر، 2012.

رضا (محمد رشيد) 1282هـ - 1354هـ

* تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار، الهيئة المصرية العلمية للكتاب، 1990م.

الزحيلي (وهبه) ت 2015م

* التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط 2، 1418هـ.

الزّمخشري (محمود) ت 538هـ

* الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1407هـ.

الطبري (محمد) ت 310هـ

* جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ - 2000م.

ابن عاشور (محمد الطاهر) 1296هـ - 1393هـ

* التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

ابن عطية (عبد الحق) ت 542هـ

* المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشّافي، دار الكتب العلميّة - بيروت، ط 1، 1422.

مسلم (بن الحجاج) 206 هـ 261 هـ

* صحيح مسلم، تح: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيّة، د ط .

معاجم وموسوعات

ابن منظور (محمّد) ت 711 هـ

* لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 1، 1412 هـ - 1992 م.

مقالات

* عايش (حسام) مقال ب: لوسيل نيوز، موقع إخباري قطري، 18 يوليو 2017.